الى الغنائم ولم يحل لنبي قبل واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا فقيل المراد بالخطاب
من اراد ذلك منهم وتجرد عرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد
بهذا النهي صلى الله عليه وسلم والاعلام اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت
حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق فاختلف
المفسرون في معنى هذه الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب
احدا الا بعد النهي لعذبتكم بهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل لولا
ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم
وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم وهذا كله ينفي الذنب
والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي قال
جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير
اصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم العام المقبل مثلهم
فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم
مال الى ضعف الوجهين ما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك
وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
قال القاضي بكر بن العلا اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية
ان تاويله واتق ما كتب له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فاذا في سرية
عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فاعتب
الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فلهذا اكله يدل على ان فعل النبي
صلى الله عليه وسلم في شان الاسارى كان على تاويل وبصيرة على ما تقدم قبل مثله
فلم ينكره والله لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته
وتاكيده منه بتعريفه ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لا على وجه عتاب
او انكار او تذنيب قال القاضي عياض واما قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم شيا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات فالمعنى
لولا ان ثبتناك لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم لكن ادركتك عصمتنا
فمنعتك ان تقرب فضلا عن ان تركن اليهم وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم
ما هم باجتهم مع قوة الداعي اليها فالعصمة بتوفيق الله وحفظه ولو قاربت
لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعفي ما يعذب به في الدارين
مثل هذا الفعل غيرك لان خطا الخطير اخطر وقد اعاذه الله من الركون
الى اعدائه بذر فمن قلبه وما يعزي للحريري ما يؤيد ذلك قوله

الخوي

الخوي هذا العصر ما هي لفظة ... حرف في لساني خزهم وتمود
اذا استعملت في صورة الجحد اثبتت ... وان اثبتت قامت مقام تجحود

وفسر الاول وهو النفي المثبت بنحو ذهبوا وما كادوا يفعلون وقد فعلوا ام
والثاني وهو الثبوت المنفي بنحو ذهبوا وما كادوا يفعلون وقد فعلوا والثاني
وهو الثبوت المنفي الى بنحو قوله تعالى لقد تركن قالوا وهو صلى الله عليه وسلم
ثبت قلبه ولم يركن واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه
باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فالمعنى لو افترى علينا شيا من عند نفسه
لاخذنا بيمينه وقطعنا نياط قلبه واهلكناه وقد اعاذه الله من التقول عليه
فان قلت لا مرية انه يعفي للمحب ولصاحب المحاسن والاحسان العظيم ما لا يعفي
لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بالف شفيع

ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم ذو المحاسن والاحسان
الاكبر فاهذه العقوبة المضاعفة والتهديد الشديد الوارد ان وقع منه
ما يكره ويكرهه من راكن الى اعدائه ومتقول عليه من قبل نفسه ثم يجابه كارباب
البدع ونحوهم فالجواب انه لا تنافي بين الامرين فان من كملت عليه نعمة الله
واختصه منها بما لم يختص به غيره واعطاه منها ما لم يعط غيره محباه بالانعام وخصه
بمزيد القرب والاكرام اقتضت حاله من حفظ مرتبة القرب والولاية والاختصاص
ان نزل عما نسبته من ادني مشوش وقاطع فلشدة الاعتنا به ومزيد تقريبه
واتخاذه لنفسه واصطفائه على غيره يكون حقوق وليته وسيده عليه اتم
وبقية عليه اكمل فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره فهو اذا غفل واخل
بمقتضى مرتبته نبه بما لم ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح بما لا يسامح
به ذلك ايضا فيجتمع في حقه الامران واذا اردت معرفة اجتماعهما وعدم
تنافيهما فالواقع شاهد بذلك فان الملك يسامح خاصته واولياءه بالاسامة به
ذلك ايضا ويجمع في حقه الامران واذا اردت معرفة اجتماعهما وعدم تنافيهما
فالواقع شاهد بذلك فان الملك يسامح خاصته من ليس في منزلتهم ويؤاخذهم
بما يؤاخذ به غيرهم وانت اذا كان لك عبدان او ولدان احدهما احب اليك من
الاخر واقرب الى قلبك واعز عليك عاملت بهذين الامرين واجتمع في حقه العا
بحسب قربه منك وحكمه وعزته فاذا نظرت الى اكمال احسانك اليه واتمام
نعمك عليه اقتضت معاملته بما لا تعامل به من دونه من التنبيه وعدم
الاهمال واذا نظرت الى محبته لك وطاعته وخدمته وكمال عبوديته ونصحه
وهبت له وسامحته وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره فالمعاملتان بحسب

ملتان

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)